الباب العاشر

القصة فى المجال التربوى

ميل الأطفال إلى القصص :

الطفل ميال بطبيعته إلى القصة ، يلذ الاستماع إليها ، ويشوقه أن يقرأها ، أو يشهد حوادثها تمثل أمامه ؛ لأن فى القصة حركة وحياة تثير انتباهه ، وتجدد نشاطه ، وقد يكون فيها خيال يستهويه ويوقظ وجدانه ؛ ولأن للقصة اتجاهاً مرسوماً يأنس به الطفل ، ويجد لذة ومتعة فى تتبعه وفهم أطواره .

وللقصة — كذلك — وحدة موضوعية ، ولها مبدأ ونهاية ، وهذا يساعد على تسلسل فكرتها ، وترابط أجزائها ، فيسهل على الطفل تتبعها دون أن يشتت ذهنه ، أو يشرد تفكيره .

والنفس البشرية تستريح دائماً لتلقى المعلومات مقترنة بأسبابها ، وممهدة لنتائجها فى ترابط ومنطق ، وتلتمس دائماً ما يصل بين الأشياء أو الأحداث من علاقات زمنية أو مكانية .

وهذا كله يبدو واضحاً فى القصص ، وتستطيع أن تختبر ذلك فى الطفل حين تعمد إلى حذف جزء أصيل من القصة ، فتراه وقد تولته الحيرة ، وبدا عليه القلق ، وأخذ يتساءل منكراً محتجًّا ؛ لأن هذا العرض المبتور المجتزأ لا يثبت للمنطق ، ولا يستقيم به التفكير .

ومما يثير الطفل فى القصة أن يجد نفسه ممثلة فى أحد أشخاصها ، كأن يكون بطل القصة طفلا أتى من الحيل البارعة أو الأعمال العجيبة أو التصرفات المدهشة بما يثير فى الطفل القارئ أو السامع إعجاباً أو سروراً أو شفقة أو خوفاً أو نحو ذلك من الانفعالات . وتعدد الشخصيات ، وتباين الأعمال ، وتوالى الأحداث ، وترقب المفاجآت ، كل ذلك يجعل من القصة مصدراً مستديماً لإثارة الأطفال وإمتاعهم وتسليتهم .

مكانتها فى التربية :

تؤدى القصة فى المجال التربوى وظيفة سامية ، وتحقق كثيراً من الغايات التعليمية المنشودة :

١ ــ فهى معلم جذاب محبوب يأخذ عنه الأطفال كثيراً من ضروب الثقافة والمعرفة ، ويكسبون منه خبرات حيوية طريفة .

٢ ــ وهى من خير العوامل لتشويق الأطفال إلى التعليم ، وتحبيب المدرسة إليهم .

٣ ــ والقصة ــ مسموعة أو مقروءة ــ تحمل الطفل على اليقظة والانتباه ، وفى هذا رياضة له على الصبر ، وحصر الذهن ، وضبط الفكر ، وكل ذلك ضرورى لتحصيل المعارف فى حياته الدراسية .

٤ ــ والقصة تنمى خيال التلميذ ، وتهذب وجدانه ، وترهف حسه ، وهى ــ كذلك ــ من العوامل المساعدة على تقوية الحافظة ، وشحذ الذاكرة ؛ فالطفل يختزن فى ذهنه من القصص وأشخاصها وحوادثها أكثر مما يختزن من الأحاديث العادية .

٥ ــ وللقصة آثار خلقية وسلوكية ينتفع بها التلميذ ، وينطبع عليها دون إحراج أو إعنات ؛ لأنه يفهم المغزى بطريق الإيحاء والتأثر الذاتى ، لا بطريق النصح السافر ، أو التوجيه المباشر ، أو غير ذلك مما تأباه طبيعة النفس البشرية .

٦ ــ والقصة من أنجع الوسائل لتعليم اللغة ، فهى تزود التلميذ بالأفكار والمفردات والأساليب ، وتعوده حسن الاستماع ، ودقة الفهم ، وتأخذه أحياناً بحسن الأداء وتصوير المعانى ، وهى ــ كذلك ــ من العوامل الناجحة فى دفع التلميذ إلى القراءة والاطلاع .

أنواع القصة :

لا يعنينا الآن أن نستقصى هذه الأنواع ، وأن ندرس قيمة كل نوع من الناحية الفنية ؛ فتلك دراسة يفرغ لها الأدباء والنقاد .

وحسبنا فى هذا المقام أن نعرض لبعض الأنواع القصصية التى نقدمها للتلميذ ، ونوصى بها فى مكتبات الفصول :

١ ــ القصص الواقعى : وتشتق حوادثه من بيئة الطفل ، وتتسع دائرته بالتدريج ، وقد يؤخذ من حوادث التاريخ ، وفى هذا النوع من القصص فرصة لتهذيب خلق الطفل ، وأخذه بالعادات الحميدة ، والسلوك المهذب ، وذلك بما يعرض عليه من مثل جديرة بالاقتداء .

٢ ــ القصص الخرافى : وهو قصص خيالى يقوم على افتراض شخصيات وأعمال

لاوجود لها فى الواقع ، والإثارة فى هذا النوع مصدرها الغرابة والطرافة ، ومن أمثلته قصص ألف ليلة وليلة .

وينبغى فى هذا القصص البعد عما يفزع التلميذ ويؤرقه من الأعمال المزعجة ، والصور البشعة المخيفة التى تلاحقه فى يقظته ، وتروّعه فى أحلامه ، فهذا يؤدى إلى اضطراب أعصابه ، وتعقد نفسيته ، ووقوعه فريسة للخوف والجبن وانهيار الشخصية .

٣ ــ القصص الرمزى : وهو قصص يصور الحياة فى كثير من قطاعاتها بطريقة لبقة بارعة لاتحرج ولاتسوء ؛ لأن حوادثه تجرى على ألسنة الحيوان والطير ، ومن أمثلة هذا النوع قصص كليلة ودمنة .

وأكثر القصص التى تشوق الأطفال الصغار هى ما كانت من هذا النوع على أن تخلو من المعانى البعيدة ، والأفكار العميقة .

٤ ــ قصص البطولة والمغامرات : ومن أمثلتها أخبار الكشف والرحلات وتتبع الجرائم وغير ذلك ، وفى هذا النوع من القصص مادة ثقافية دسمة ، وفيه شحذ للفكر ، وتنويه بالقيم الخلقية ، وإغراء بالفضائل .

٥ ــ القصص الفكاهية : وغايتها بسط النفس وإمتاعها ، ودفع السأم عنها بما يشيع فيها من ألوان المرح والمتعة .

ولهذا النوع أثر تهذيبى محمود ؛ لأن السلوك الحميد لايعلم دائماً عن طريق المواعظ الجادة ، والنصائح الصارمة الحازمة ، بل قد تكون المواقف الفكاهية أشد تأثيراً وأكثر نجاحاً فى الدعاية للسلوك الطيب ، والتنديد بالعادات المرذولة ، والتنفير منها .

وينبغى فى هذه القصص الفكاهية البعد عن المبالغة التى تفسد الغرض ، وتؤدى إلى العبث ، وإثارة الميول الخبيثة .

٦ ــ القصص الاجتماعية : وهى التى تعالج مشكلة فى المجتمع أو تصور إحدى بيئاته ، وتتسع هذه القصص للنواحى العاطفية ، وتصوير النزعات الإنسانية كالحب والإيثار والتعاون والمكر والجشع والكيد ونحو ذلك ، وهذا النوع من القصص يتجه دائماً إلى رسم المثل العليا ، وتصوير المجتمعات الفاضلة .

٧ ــ القصص التاريخية : وتشتق حوادثها وشخصياتها من التاريخ ، وقد تدور حول

بطل وتأتى الحوادث فى ظلال سيرته ، وقد تصور حادثة تاريخية معينة وتبرز الشخصيات فى أطوار هذه الحادثة .

والقصة التاريخية تختلف عن كتاب التاريخ فى أنها تتوخى دائماً دقة التصوير ، وروعة التأثير ، وأنها لاتقف عند الشخصيات التاريخية المعروفة ، بل تضيف شخصيات أخرى ؛ لتكتمل بها العناصر الفنية للتأليف القصصى .

* * *

ويجب ألا نختار لكل مستوى من مراحل التعليم المختلفة إلا ما يناسبه من هذه الأنواع ، وأن نلاحظ أن القصص الخيالى الخرافى أليق بصغار التلاميذ ، أما القصص الملائم للكبار فيجب أن يتخلى عن عنصر الخيال والخرافة ، وقد يصلح نوع ما من الأنواع السابقة للتلاميذ فى مختلف المراحل ولكن مع مراعاة التدرج فى الفكرة والأسلوب .

شروط القصة الجيدة :

يجب فى القصة التى نعرضها على التلاميذ أو ندفعهم إلى قراءتها أن تستوفى شروطاً خاصة أهمها :

١ ــ أن يكون أسلوبها سهلا سائغاً يفهمه التلاميذ بغير مشقة أو عناء .

٢ ــ أن تزود التلاميذ بشىء من المعارف والخبرات الجديدة .

٣ ــ أن تتوافر فيها عناصر الإثارة والتشويق كالجدة والطرافة والخيال والحركة .

٤ ــ أن تكون ملائمة لمستوى التلاميذ من حيث الموضوع واللغة .

٥ ــ أن يكون لها مغزى تهذيبى .

٦ ــ أن يراعى فى طولها مناسبة الزمن المخصص لعلاجها ، فإذا كانت موضوعاً للدرس فى القراءة أو التعبير كانت قصيرة ، وإذا كانت للقراءة الحرة فلا مانع من أن تكون طويلة .

مجالات القصة فى التعليم :

نود لو سادت الطريقة القصصية أكثر المواد التى تدرس فى المرحلة الابتدائية ، وشاركت فى عرض الموضوعات الممكنة من مناهج الدراسة بالمرحلتين الإعدادية والثانوية .

(ا) فى غير اللغة العربية :

يمكن أن نستعين بالقصص فى تدريس موضوعات كثيرة من التاريخ والجغرافية ومبادئ العلوم والصحة ، وأن نضمن إقبال التلاميذ على هذه الدروس ومشاركتهم فيها ، وانتفاعهم بها .

أما التاريخ فهو بطبيعته ذو لون قصصى ؛ ولذا كانت حصته أكثر نجاحاً من حصة الجغرافية التى يغلب عليها السرد والتقرير والرغبة فى ملء أذهان التلاميذ بالحقائق .

وأكثرنا كان يضيق بدرس حوض النيل ووصفه ورسمه ؛ لأنه كان يعرض بطريقة تقريرية تثقل الذهن ، وتسئم النفس ، فإذا حول هذا الدرس إلى قصة تدور حول رحلة فى النيل أتاحت لصاحبها هذه المشاهد المختلفة فى الطبيعة والنباتات والعادات البشرية ، أمكن استهواء التلاميذ وتفهيمهم ما يراد من دراسة حوض النيل بهذه الطريقة السهلة المحببة .

وأذكر أنه فى إحدى الإذاعات المدرسية دار حديث بين سمكتين تسمى إحداهما « بلطية » وتسمى الأخرى « شلباية » سافرت هاتان السمكتان فى النيل من منبعه إلى مصبه ، واتصل بينهما الحديث طول هذا السفر عما تقع عليه أعينهما من المشاهد فى النيل وحوله ، فكانت هذه الإذاعة التى لم تزد مدتها على سبع عشرة دقيقة درساً ناجحاً شائقاً فى وصف حوض النيل .

وفى درس العلوم يمكن الانتفاع بالطريقة القصصية فى تفهيم التلاميذ ما يطلب درسه فى الحيوان والطير والنبات .

ويمكن ذلك أيضاً فى مبادئ الصحة ، وبيان العادات الصالحة والعادات الضارة القبيحة ، أو بيان الأمراض وأسبابها ، وطرق الوقاية منها على النمط المتبع فى الإرشاد الصحى للعمال والفلاحين ونحوهم .

(ب) وفى اللغة العربية :

نجد القصة مادة طيبة ملائمة فى كثير من فروع اللغة :

١ — فدرس القراءة إذا كان موضوعه قصة أقبل التلاميذ عليه ، ونشطوا له ، وانتفعوا بما فيه من أفكار وأساليب ، ونستطيع أن نشهد ذلك إذا راقبنا هؤلاء التلاميذ فى درس

القصة وفى درس آخر موضوعه ليس قصة ، وكتب القراءة ذات الموضوع الواحد لاتنجح فى جذب التلاميذ إلى القراءة الحرة إلا إذا كان موضوعها قصة .

ومكتبة الفصل لايقبل التلاميذ عليها، ولاتحقق رسالتها إلا إذا كانت حافلة بالقصص المختلفة ، ومن يتتبع سجل الاستعارة يجد أن القصص هى التى تستأثر بميل التلاميذ .

٢ — ودرس التعبير الشفوى إذا دار حول قصة أرهف التلاميذ آذانهم إلى الدرس ، وتتبعوا مراحل القصة ، وأجادوا التعبير عما يدور فيها من أسئلة ومناقشة ، وخرجوا من الدرس بطائفة من الأفكار المترابطة والأساليب السليمة ؛ وبهذا تتسع أفكارهم ، وتسمو أساليبهم .

وفى هذا الدرس نلاحظ نشاطاً فى التلاميذ الذين يحجمون عادة عن المشاركة فى درس التعبير الشفوى ؛ لأن القصة سهلة عليهم محببة لديهم .

وفى التعبير الكتابى حينما يكلف التلاميذ تلخيص موضوع قرءوه لايجود تلخيصهم ، ولاتستقيم عباراتهم فى الموضوعات العادية بقدرما يتأتى لهم ذلك فى الموضوعات القصصية .

على أن القصة يمكن استخدامها فى دروس التعبير بطرق كثيرة مختلفة منها :

(ا) عرض فقرات تتكون منها قصة قصيرة عرضاً غير مرتب ، ويطلب من التلاميذ ترتيبها ، وهذا النوع يناسب الأطفال الصغار ، وفيه تدريب على القراءة الصامتة وعلى الفهم معاً .

(ب) عرض طائفة من الجمل غير مترابطة ، وتكليف التلاميذ كتابة قصة مع الاستعانة بهذه الجمل .

(حـ) عرض قصة على التلاميذ قد حذف منها بعض الكلمات ، وتكليف التلاميذ وضع المحذوف .

(د) إلقاء قصة على التلاميذ ، ثم مناقشتهم فيها شفوياً بأسئلة توجه إليهم ، وتدريبهم على أن يصوغوا هم أسئلة فيها ، ثم تكليفهم بعد ذلك كتابتها ، وقد أوضحنا طريقة ذلك فى موضوع التعبير .

(هـ) مناقشة التلاميذ فى قصة قرءوها وتكليفهم تلخيصها كتابة .

(و) عرض جملة اختتمت بها قصة ، وتكليف التلاميذ كتابة القصة .

(ز) بدء قصة بعبارة تكفى لتحديد اتجاهها ورسم موضوعها ، وتكليف التلاميذ تكملة هذه القصة .

(ح) تكليف التلاميذ كتابة قصة فى موضوع معين يقترح عليهم ، وهذا النوع لايناسب إلا التلاميذ الكبار .

٣ — وموضوع الإملاء إذا كان قصة ترك فى نفوس التلاميذ آثاراً أبعد مدى من الموضوعات الأخرى .

٤ — وفى درس القواعد نستعين بالقصة القصيرة نقدمها للتلاميذ ليفهموها ، ونشتق منها الأمثلة المطلوبة لموضوع الدرس .

٥ — ودروس التراجم الأدبية إذا سيقت فى أسلوب تقريرى ضاعت بهجتها ، وفقدت عنصر الإثارة والتشويق ، ولكن الطريقة القصصية التى تتبع فى عرض سيرة الأديب تجذب التلاميذ وتشوقهم .

(ح) وفى دروس التربية الدينية :

١ — تقوم دروس التهذيب على القصة وحدها ، ولا تنجح هذه الدروس بسرد الحكم وإلقاء المواعظ ، وقد أوضحنا الأسس النفسية للقصة التهذيبية فى شرح الطريقة التى تتبع فى دروس التهذيب .

٢ — ودروس السير تنجح فى التربية الدينية أكثر مما تنجح الدراسات الدينية الأخرى ؛ لما لها من صبغة قصصية تبعث اهتمام التلاميذ وتثير انتباههم .

(د) فى الصحافة المدرسية :

للقصة فى الصحف المدرسية على اختلاف أنواعها مكانة سامية ، فهى من الألوان الطريفة الشائقة بين موضوعات الصحيفة ، وهى مجال التسابق والمنافسة بين التلاميذ الذين يشتركون بأقلامهم فى تحرير الصحيفة المدرسية ، ومهما تختلف الصحف المدرسية ،وتتنوع جهود القائمين عليها فى التجديد والابتكار فإن للقصة موضعاً أصيلا فيها .

وهكذا تتجلى مكانة القصة فى النواحى المختلفة من الحياة الدراسية ، وتبدو فى معظم الدروس خير مادة تقدم للتلاميذ ، وخير طريقة يتبعها المعلم .